

«كياس ولاباس» مونودراما توظف الكوميديا السوداء لنقد المجتمع الجزائري

الجزائر - يعالج العمل المونودرامي الجزائري الجديد بعنوان «كياس ولاباس» للمخرج عبدالغاني شنتوف وأداء الفنان فوزي بايت العديد من القضايا الاجتماعية، حيث يمكننا تصنيفه كعمل درامي اجتماعي ممزوج بقلب فكاهي، من خلال شخصية العياشي (التي تقمصها الفنان فوزي بايت).

ويقل العمل يوميات محترفي مهنة الكياسة (التدليك) في الحمامات العمومية وواقعهم والمشاق التي تعترضهم والتضحيات التي يتكبدها في سبيل كسب لقمة العيش وراحة مرتادي هذه الفضاءات.

وتعتبر مهنة الكياسة من المهن التقليدية المرتبطة بالحمامات المفتوحة للعموم، حيث أكثر مرتاديه لا يهتمون بالاعتساف في الحمام بقدر حاجتهم إلى «كياس» جيد ينعش أجسادهم المنهكة.

ويسرد العياشي الذي يعمل مدلكا بأحد الحمامات العذاب الذي سببته له رومانة التي نقاشها بحافلة وتبعها إلى غاية بيت والدها دون أن يقول لها كلمة واحدة.

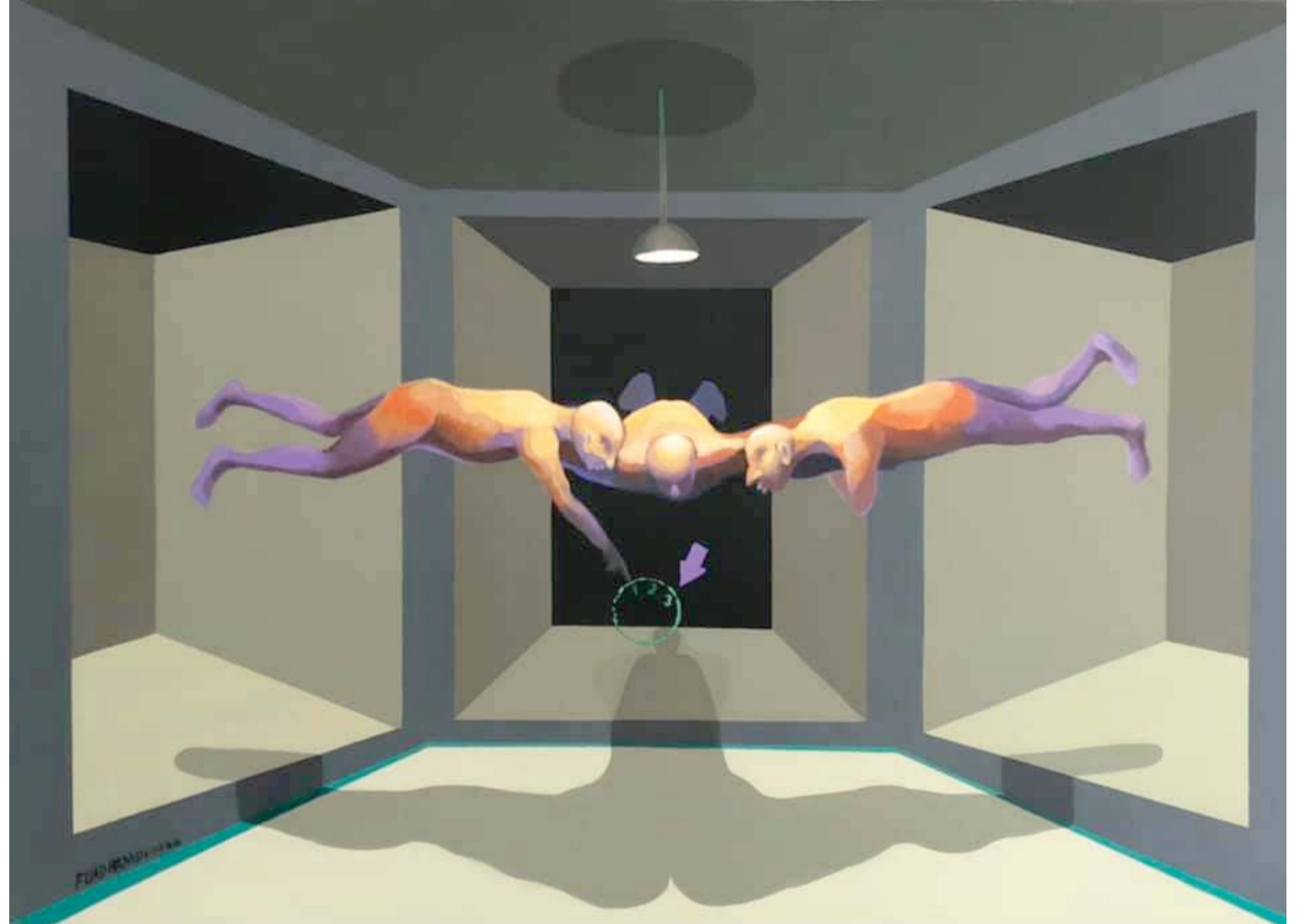
وكلما قرر البوح بحبه لها والكشف لها عن مهنته، تردد في ذلك خوفا من خسارتها ومن أن يتعرض إلى السخرية والاستهزاء، فيمنعه خوفه هذا من الإقدام على أي خطوة إيجابية.

وإذ تتناهب خيبة الأمل والقلق، يسرد العياشي بعض مراحل حياته مع والده لاسيما عندما علمه أن يرى المرأة ك«قارورة غاز» يجب غلقها بشكل «محكم» خشية أن تنفجر، وهو ما يكتشف بأنه خاطئ، حيث تنفجر المسرحية العادات المتوارثة والتعاليم الأبوية والذكورية التي تعمق التناقض بين الجنسين وتسبب الكثير من الاضطرابات على حد سواء للرجال والنساء.

وتسرد أحداث هذا العمل الفني الإبداعي، الذي ألفه المسرحي أحمد رزاق، بأحد الحمامات بمدينة جزائرية داخلية حيث يعمل المدعو العياشي، كياس الحمام، وعلى امتداد العرض، نراه مترددا في محاولات إقناع الفتاة التي سلبت قلبه بالزواج منه، فالخجل من مهنة الكياسة التي يمارسها يمنعه عن مصارحتها بذلك، وبالتالي ينتهي به المطاف إلى ألم مضاعف، هو ألم الخسارة.

وتتطور أحداث العمل وتتصاعد الدراما التي يقدمها في ظل المشاكل التي يواجهها الكياس مع مرتادي الحمام، وعندما يفتنع بضرورة المغامرة وإخبار الفتاة التي يريد الزواج منها بنوعية العمل الذي يسترزق منه، يكون قد أخذ القرار متأخرا، عندما يصل إلى مسامعه بأن المرأة التي كان يحلم بها أقدمت على الزواج من شخص آخر.

وعلى مدار أكثر من ساعة من الزمن، عالجت هذه القصة، من خلال مزاج وتقلبات شخصية البطل، مشاكل اجتماعية ونفسية وسياسية متنوعة بتنوع الأشخاص على اختلاف مشاربهم



الصواب ليس أمرا نهائيا (لوحة للفنان فؤاد حمدي)

لا شيء حقيقيا إلا ما كان قابلا للتزييف

لماذا كلما حاول الإنسان أن ينفذ إلى جوهر قناعاته تملكه الشك

المعرفة إذا لم تترك الباب مفتوحا أمام إمكانية مساعلة ما نعتقد أنه مكتسب بصفة نهائية؟

يميز أ فلاطون بين الرأي والحقيقة، فالحقيقة هي ما يخالف الدغمائية أو الرأي، لأن اعتقاد المرء بأنه يعرف يمنعه من مساعلة اليقينيات، بحثا عن الحقيقة.

الحقيقة هي ما يبقى مفتوحا للنقاش، شرط أن يكون هذا النقاش نزها، جديا، حريصا على تطوير معرفة الإنسان

فالذين يتمسكون بآرائهم معتقدين أنهم يملكون الحقيقة، يمنعون أنفسهم من اكتشافها، لأن الرأي، كما يقول، حاجز أمام اكتشاف الحقيقة، ومن قنع من الاضطرابات على حد سواء للرجال والنساء.

وتسرد أحداث هذا العمل الفني الإبداعي، الذي ألفه المسرحي أحمد رزاق، بأحد الحمامات بمدينة جزائرية داخلية حيث يعمل المدعو العياشي، كياس الحمام، وعلى امتداد العرض، نراه مترددا في محاولات إقناع الفتاة التي سلبت قلبه بالزواج منه، فالخجل من مهنة الكياسة التي يمارسها يمنعه عن مصارحتها بذلك، وبالتالي ينتهي به المطاف إلى ألم مضاعف، هو ألم الخسارة.

وتتطور أحداث العمل وتتصاعد الدراما التي يقدمها في ظل المشاكل التي يواجهها الكياس مع مرتادي الحمام، وعندما يفتنع بضرورة المغامرة وإخبار الفتاة التي يريد الزواج منها بنوعية العمل الذي يسترزق منه، يكون قد أخذ القرار متأخرا، عندما يصل إلى مسامعه بأن المرأة التي كان يحلم بها أقدمت على الزواج من شخص آخر.

وعلى مدار أكثر من ساعة من الزمن، عالجت هذه القصة، من خلال مزاج وتقلبات شخصية البطل، مشاكل اجتماعية ونفسية وسياسية متنوعة بتنوع الأشخاص على اختلاف مشاربهم

لما هو حق.

في نظر كارل بوبر مثلا، أن ما يصنع حقيقة نظرية علمية هو صمودها أمام محاولات الإنكار التي تعارضها بها. فلكي تكون نظرية ما صائبة، ينبغي أن تكون قادرين على تفنيدها، فلا شيء حقيقيا ما اعتقده إلا ما كان قابلا للتزييف، أي ذلك الذي يتيح النقاش، ويصمد أمام محاولات التفتيد إلى أن يأتي ما يخالف ذلك.

وفي رأي بوبر كلما زادت روايات التفتيد عددا، ازدادت حجة النظرية المعنية، لاسيما عند فشل تلك الروايات. ويخلص بوبر إلى القول إن الحقيقة، أي حقيقة، لا يمكن أن تكون غير قابلة للنقاش، لأن النقاش ويُعده النقدي هما اللذان يمنحانه ادعاءه قول الحقيقة. ولكن دون أن يقوينا النقاش إلى النسبوية، كون الحقيقة تؤدي دور تعديل وتنظيم، أي أننا نضع الحقيقة موضع اختبار كي نزيل الزيف.

والخلاصة أننا حين نقول إن بعض الحقائق لا تقبل النقاش، فإننا يمكن أن نبرر بذلك الحجج الباطلة التي تجعل الجدل عقيبا أو لاغيا من أساسه. ومن ثم فإن الحقيقة هي ما يبقى مفتوحا للنقاش، شرط أن يكون هذا النقاش نزها، جديا، حريصا على تطوير معرفة الإنسان بالعالم وظواهره، المادية منها والمعنوية.

عناه ليبينتز حين حدّد العقل بكونه «الحقيقة المعروفة التي يدفعنا ارتباطها بحقيقة أخرى دونها معرفة إلى القبول بها».

العقلانية في اعتقاد ليبينتز تعوض الرأي الفردي بحقيقة موضوعية لا تقبل النقاش، ولكن معرفة المبدأ النهائي للأشياء في فلسفة ليبينتز تخص الذات الإلهية، فهي وحدها التي حازت المعرفة الكلية، فإن وجدت حقائق لا تقبل النقاش فإن معرفة الإنسان بها طوباوية، عسيرة المنال.

وفي رأيه إن معرفة ما يجعل كل شيء ضروريا يسمح بوضع حد لكل نقاش حول الحقيقة. فالله وحده يملك هذه المعرفة «لا شيء يحدث، دون أن يكون بوسع من يعرف الأشياء أن يقدم سببا كافيا لتحديد لماذا جرت الأمور على هذا النحو، وليس على نحو آخر». وكلما حاول الإنسان أن ينفذ إلى جوهر قناعاته تملكه الشك، تماما مثل هاملت حين عجز عن الثأر لأبيه، لأنه لم يكن وثقا من الطريقة التي مات بها، هل قتل بفعل فاعل أم ببلدغة ثعبان، ولذلك ظل مترددا، وما تردده إلا تعبير عن صراع داخلي لا يستقر على رأي.

الشكوكيون، مثل سكتوس إمبريوكوس (160 - 210 ق. م)، يعتقدون ألا وجود لحكم قائم على أسس صحيحة يمكن نعتهم بالصواب. وهذا لا يعني أننا يمكن أن نؤكد بصفة دغمائية أن الحقيقة لا تمسك، وإنما كل ما يتبدى لنا لا يمكن تعميمه إلى الآخر.

ولو أننا نجد لدى الشكوكيين ما هو قابل للنقاش، ولكن هذه العبارة لا تعني إلا استحالة التأكد عبر لغة مشتركة من أي شيء كان. ومن ثم كان الشكوكيون يوصون الفرد، لتجنب الوقوع في الدغمائية، بتعليق حكمه، وهو ما يطلقون عليه «إيبوسني»، أي وضع المسألة بين قوسين. ذلك أن النقاش ليس خصاما، كما نرى في رواية «اسم الوردة» لامبرتو إيكو، حيث يتم الفصل في الجدل حسب إجراء مرتب، تكون الأولوية فيه للحجاج الاستدلالي القائم على تحليل مفهومي لعبارات المسألة المطروحة. ما يعني أن الصواب يمكن أن يتخاصم حوله اثنان، دون أن يتناقشا.

الحقيقة والنقاش

ولسائل أن يسأل: ألا تتضمن رغبة مناقشة الحقيقة شيئا ما يحميها من الدغمائية؟ وكيف نتقدم في مجال

ثمة حقائق أثبتتها العلم والتجربة ولم تعد تحتاج إلى قرائن وبراهين. فشعور الإنسان بوجوده المادي ودوران الأرض حول الشمس ومجموع زوايا المثلث.. كلها أمثلة عن حقائق ثابتة لا يمكن الطعن فيها، أو هكذا يُحجّل لبنا. فقد يكون وجودي مجرد حلم وقد تختل المنظومة الشمسية فتكف الأرض عن الدوران أو تزول تماما، بل قد لا يبلغ مجموع زوايا المثلث 180 درجة خاصة في فضاء منحني، ما يعني أن الحقائق المكتسبة يمكن أن تكون نسبية وقابلة للنقاش.

لأن العبارة تبدو مريية وضرورية في الوقت نفسه.

من الطبيعي أن يكون للمرء رأي في ظواهر كثيرة من داخل محيطه أو خارجه، وفي غياب التوافق، يجد نفسه في مواجهة آراء غيره ممن ينظرون إلى هذه المسألة أو تلك نظرة مختلفة. بيد أننا كلما اعتبرنا بعض الأحكام مُحققة، تضاعفت إمكانية نقاشها، ما يعني أن ما لا يقبل النقاش هو ما عُرفت غايته النهائية. وهو ما

يمكن تعريف الحقيقة بكونها تطابق المعرفة بموضوعها، أي مظهر الشيء (التيار الواقعي) أو بفكرتها، (التيار المثالي)، وعند التأكد، ينتج عن ذلك التطابق شعور باليقين.

أما النقاش فيفترض شعورا مضادا، حيث لا تواجه رأينا برأي الآخر إلا لأن ما نتناقش حوله ليس أمرا بديهيا، لدى أحد الأطراف على الأقل. ولكننا عندما نخلص إلى اتباع رأي الآخرين، فهل يعني ذلك أن التوافق جعل الحقيقة المعنية نهائية لا تقبل النقاش؟

الشكوكيون والعقلانية

إن عبارة «غير قابل للنقاش» تضفي صبغة نهائية على الشيء الذي تصفه، فإذا أطلقناها على حقيقة ما، صارت تلك الحقيقة أشبه بالعقيدة، والحال أن الحقيقة، باستثناء الوحي المنزل، هي كل ما ليس دغمائيا. ولكن إذا افترضنا ألا شيء حقيقي إلا متى ظل قابلا للنقاش، ألا يفضي الأمر في تلك الحالة إلى نسبوية لا تنتهي، فنقع في موقف الشكوكيين الذين يعتقدون أن الحقيقة، إن وجدت، لا يمكن التعرف عليها؛ ما يعني أن الحديث عن «حقيقة لا جدال فيها» إشكالي،

أبو بكر العياشي
كاتب تونسي

عادة ما تضفي صفة الحقيقة على أشياء كثيرة في حياتنا اليومية، دون أن نكلف أنفسنا عناء فحصها ومساءلتها للتأكد من صوابها أو عدمها، لأنها في تصورنا بديهية لا تحتاج إلى نقاش. ولكن أن يمسك المرء بالحقيقة لا يعني أن يعلنها كيفما اتفق، وإنما الشرط أن يعرف أن ما يقال حق، والتبرير إحدى الميزات التي ترافق الحق. ومن ثم يجب إخضاع ما نعتقد أنه حقيقي للمناقشة، لأن الحقائق التي تخضع للنقاش تنحو دائما نحو معرفة الحقيقة.

يمكن تعريف الحقيقة بكونها تطابق المعرفة بموضوعها، أي مظهر الشيء (التيار الواقعي) أو بفكرتها، (التيار المثالي)، وعند التأكد، ينتج عن ذلك التطابق شعور باليقين.

الشكوكيون والعقلانية

إن عبارة «غير قابل للنقاش» تضفي صبغة نهائية على الشيء الذي تصفه، فإذا أطلقناها على حقيقة ما، صارت تلك الحقيقة أشبه بالعقيدة، والحال أن الحقيقة، باستثناء الوحي المنزل، هي كل ما ليس دغمائيا. ولكن إذا افترضنا ألا شيء حقيقي إلا متى ظل قابلا للنقاش، ألا يفضي الأمر في تلك الحالة إلى نسبوية لا تنتهي، فنقع في موقف الشكوكيين الذين يعتقدون أن الحقيقة، إن وجدت، لا يمكن التعرف عليها؛ ما يعني أن الحديث عن «حقيقة لا جدال فيها» إشكالي،

العرض يحكي قصة مدلك في حمام عمومي يغرم بفتاة ويحاول الزواج بها فيما الواقع بتقلباته له كلمة أخرى

ويندرج عرض هذا العمل المونودرامي، الذي أخرجه شنتوف وأداء الفنان فوزي بايت، بقاعة العروض لجامعة أحمد بوقرة، ضمن فعاليات أيام بومرداس الوطنية في المونودراما، بمشاركة عدد من الوجوه الفنية والمسرحية والسينمائية. وتعيش مدينة بومرداس منذ الإثنين على وقع فعاليات أيام بومرداس الوطنية في المونودراما، التي ستتواصل على مدار خمسة أيام بمشاركة عدد من الفنانين والمسرحيين وجمعيات فنية ونقاد من مختلف محافظات الجزائر.

وتتضمن هذه الفعالية التي تستهدف إبراز المواهب الشبابية في العمل المسرحي، حسب المنظمين، عروضاً مونودرامية وكورغرافية والعباب الخفة وورشات تكوينية، ينشطها عدد من الوجوه الفنية في المسرح والسينما، على أن تختم التظاهرة بتنظيم قافلة ثقافية ورحلة استكشافية إلى قصبه دلس العتيقة لفائدة المشاركين.

وتشرف على تنظيم هذه التظاهرة الثقافية، التي تحتضنها كل من قاعة العروض للجامعة ودار الثقافة رشيد ميوني بمدينة بومرداس، تحت شعار «شعلة الشباب وضرورة التكوين»، جمعية الشعلة للمسرح والسينما، بالتنسيق مع الرابطة الولائية للنشاطات الثقافية والعلمية والمعهد الوطني للفنون الدرامية ومديرية الشباب والرياضة بالمحافظة.



المستضعفون يهشمهم المجتمع